مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 02 السنة 2023 ص ص347/374
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

المناطق الغابية والجبلية من خلال " كتاب بحرية "
للجغرافي والبحار التركي پيري رئيس

Forested and mountainous areas through "The Book Of The Sea" for the Turkish geographer and sailor "Piri Reis"

د. كوكجن قالقان
الوكالة التركية للتعاون والتنسيق
- تركيا -
gokcenkalkan@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 21 / 12/ 22 تاريخ القبول: 27 / 12/ 22

Abstract

Local materials, such as archives, manuscripts, books, historical structures, and the local sources published in Arabic, have been particularly useful for studies on the history of the eastern and western sections of the Arab world. The other is materials originally from other countries but written in English or French.

Using only these two types of materials, researchers are trapped in either an accusatory and offensive local manner of judging others or a foreign gaze defined by making it look defensive and all-good. Therefore, between these two forms of evaluation, historical facts are frequently lost. A more objective or less biased conclusion must be reached, and it is evident that this can only be done by consulting additional sources that shed light on the facts from a different aspect.

In this light, it becomes clear how crucial Turkish sources are to the study of modern and contemporary Arab history. This is because, during the modern era, the Ottoman Empire encompassed a vast area that included practically all of the Arab world, from the eastern boundaries of Iran to the western borders of Algeria, and from the northern tip of the Crimean peninsula in the north to India and deep into Africa. Over three centuries, the Maghreb countries and Algeria were a part of the Ottoman Empire, and for four centuries, the eastern part of the Arab World was ruled by the Ottomans.

These sources not only shed light on previously unknown details of Arab history, but they also provide a third dimension that can aid researchers in their assessments by removing the conundrum of only considering history from either an internal or external viewpoint.

The significance of the work we are attempting to introduce, as well as the author's, Piri Reis, personality, become clear in this setting. By "Kitab Bahriyya," we refer to the famous work authored by Piri Reis, a brilliant Turkish sailor and geographer who was dispatched by the Ottoman Sultan to aid the Muslims of Granada following the fall of Andalusia in 1492. Reis was the nephew of Kemal, the commander-in-chief of the Ottoman navy.

To pass the time, Piri Reis made accurate maps of the Mediterranean coast's mountains, plains, and woods while accompanying his uncle Kemal Rais on the evacuation efforts designed to convey the Muslims who escaped the atrocities launched by the Spanish in Andalusia to Algeria. He also offered a proper introduction to the people who live along these shores and included crucial details about their way of life. Kanuni Sultan Süleyman was the recipient of Piri Reis's work.

The scientific community recognizes the importance of the material presented in this book by Piri Reis and has rewarded him with translations into other languages. Moreover, this work was also translated into Arabic in 2012 and assesses several scientific gatherings, such as forums and symposiums, about this topic among Arab scientific communities.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

The purpose of this article is to provide an introduction to this valuable source for historians interested in the history of the present Maghreb countries and the North African countries' forested and mountainous regions from the 15th and 16th century AD. Furthermore, it intends to direct the attention of academics working on the issue to Turkish sources, which is of considerable value in demonstrating the importance of Turkish sources for works on the history and geography of the region.
Keywords: *Algeria, coastal areas, Forests, mountains, Resources*

المؤلف المرسل: كوكجن قالقان
البريد الالكتروني: gokcenkalkan@hotmail.com

الملخص:

لقد درجت الدراسات المتعلقة بتاريخ العالم العربي بمشرقه ومغربه، أن تستعين بنوعين من المصادر: مصادر محلية من أرشيف ومخطوطات وكتب وآثار، ونحوها مما هو مكتوب باللغة العربية، ومصادر أجنبية، غالبا ما تكون إنجليزية أو فرنسية.

وبسبب هذه الازدواجية لا يسع الباحث إلى أن يكون أسيرا للنتائج التي هاتان القراءتان، بلونيها المحلي المصطبغ بصبغة الاتهام والتهجم؛ والأجنبي المتّسم بسمة الدفاع والتبرير.

إلا أن الحقائق التاريخية كثيرا ما تتلاشى في معرض التجاذب القائم بينهما. فيكون من الضروري البحث عن مصادر أخرى تساهم في تسليط الضوء على الحقائق من زاوية أخرى، أملا في الوصول إلى استنتاج أكثر موضوعية، أو أقل تحيزا.

وفي هذا الإطار تأتي أهمية المصادر التركية المعنية بدراسة تاريخ العالم العربي خلال المرحلة الحديثة والمعاصرة. وذلك بالنظر إلى كون العالم العربي خلال الفترة الحديثة كان من تاريخه كان جزءا من العالم العثماني الممتد من حدود روسيا شرقا حتى الجزائر غربا، ومن شبه جزيرة القرم شمالا حتى المحيط الهندي جنوبا. وذلك على مدى زمني لا يقل عن ثلاثة قرون بالنسبة لدول المغرب العربي، وأربعة قرون بالنسبة لدول المشرق العربي.

وبصرف النظر عن مدى أهمية تلك المصادر في تسليط الضوء على الجوانب الخفية أو الباهتة من تاريخنا، إلا أنها .بلا ريب .تمثل بعدا ثالثا يساهم بشكل أكيد في دفع الباحث إلى النظر إلى التاريخ من زاوية غير زاوية المحلي والأجنبي.

وفي هذا السياق تأتي أهمية المصدر الذي نحاول التعريف به وبمؤلفه. ونعني به الكتاب الموسوم بـ: " كتاب بحرية " للبحار والجغرافي التركي: بيري رئيس إبن أخت كمال رئيس قائد الأسطول العثماني الذي أرسله السلطان العثماني لنجدة مسلمي غرناطة عقب سقوطها سنة 1492.

فقد رافق مؤلف الكتاب خاله كمال رئيس في حملاته على الأندلس، وقام برسم خرائط مفصلة لسواحل البحر المتوسط بجبالها وسهولها وغاباتها. ووصف بشكل دقيق المجتمعات المطلة على هذه السواحل، موردا معلومات في غاية الدقة والأهمية. وحينما فرغ من تأليفه قام بإهدائه إلى السلطان سليمان القانوني.

ونظرا لأهمية هذا الكتاب في موضوعه وجدّته، تمت ترجمته إلى العددي من اللغات الأجنبية؛ ونظمت حوله العديد من الملتقيات والأيام الدراسية، بينما لم تتم ترجمته إلى العربية أو الاستفادة منه بشكل يتناسب مع أهميته حتى اليوم للأسف الشديد.

وهذه المداخلة تهدف إلى التعريف بهذا المصدر في دراسة تاريخ المناطق الغابية والجبلية لبلدان المغرب العربي الحديث عامة، والبلدان المتوسطية في نهاية القرن 15 وبداية القرن 16 الميلادي. وذلك بغية لفت نظر الباحثين إلى مدى أهميته وأهمية نظائره من المصادر التركية القيمة في الدراسات التاريخية والجغرافيا التاريخية الخاصة بالمنطقة.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

الكلمات المفتاحية: الجزائر، المناطق الساحلية، الغابات، الجبال، المصادر

مقدمة

يعتبر بيري رئيس من الشخصيات التركية العثمانية القليلة التي جمعت بين العلم والعسكرية. ففضلا عن كون خذت الأخير قائدا عسكريا كبيرا التحق بخاله كمال رئيس الذي كان يقود أسطولا بحريا في غرب البحر المتوسط، ويقوم بإنقاذ مسلمي الأندلس ونقلهم إلى مناطق آمنة في سواحل المغرب العربي؛ فإنه بالإضافة إلى ذلك كان شخصية علمية واسعة الاطلاع في مختلف العلوم التي كانت شائعة في عصره. ومن أبرزها علم الجغرافيا البحرية. والتي تجلت في كتابه الموسوم بـ: " كتاب بحرية " وهو الكتاب الذي نقوم بالتعريف به، باعتباره واحدا من أقدم وأهم المصادر العثمانية التي اشتلمت على معلومات غزيرة وأصيلة دونت في مطلع القرن السادس عشر. فضلا عن احتوائه على عشرات الخرائط للمناطق الساحلية والمدن والجبال والجزر والغابات المتناثرة في مختلف المناطق التي رسمها بيري رئيس. وهذه المقالة تعريف بالمؤلف وبالكتاب، وأيضا عرض لما تضمنه هذا المصدر من معلومات حول المناطق الساحلية والجبيلة والغابية للجزائر كنموذج.

أولا. التعريف بالجغرافي والبحار التركي" پيري رئيس Piri Reis"

هو الجغرافي والبحار التركي پيري رئيس. ولد في شبه جزيرة "غاليبولو GELİBOLU " الواقعة في الساحل الغربي لبحر مرمرة، والتي تعدّ قاعدة البحرية العثمانية[1]. وبالرغم من أنه لا يُعرَف على وجه التحديد تاريخ مولده؛

إلا أنه بالنظر إلى الحوادث التي دوّنها في كتابه: " **كتاب بحرية** " يفهم أنه وُلِد بعد سنة 1465م[2].

اسمه: محي الدين پيري. وقيل: أحمد بن علي الحاج محمد القرماني اللارندوي Larendevî [3]. يعدّ كتابه الموسوم بـ" **كتاب بحرية** " أهم مصدر قدّم معلومات مهمّة عن شخصية مؤلفه. وذلك لكون هذا الأخير أورد في مواضع متناثرة من الكتاب تفاصيل مهمة عن نشأته وأعماله. وعن هذا المصدر نقلَ معظمُ من ترجم له وعرّف به فيما بعد.

وحسب المصدر المذكور يُفهم أن بيري رئيس بدأ نشاطه البحري في فترة مبكّرة من حياته إلى جانب عمه أو خاله البحار التركي الشهير كمال رئيس[4]. وبفضله تعرّف بيري رئيس في مطلع شبابه على معظم سواحل وموانئ شرق البحر المتوسط[5].

وفي سنة 1495 طلب السلطان العثماني بايزيد الثاني من كمال رئيس أن يلتحق بالأسطول العثماني، لكي يساهم في تقويته وتدعيمه بخبرته الطويلة. فاستجاب هذا الأخير للأمر السلطاني، وصار منذ ذلك التاريخ أحد كبار قادة البحرية العثمانية[6].

وفي 1499 خاض بيري رئيس أول معركة بحرية. وذلك أثناء الحرب التي وقعت بين الدولة العثمانية وجمهورية البندقية، حيث كان بيري رئيس قائدا لسفينة حربية أثناء تلك الحرب.

كما صرّح بيري رئيس بأنه اشترك في فتح إينه بخت İnebaht التي تعرف عند الباحثين العرب والغربيين باسم: ليبانت أوليبانتو. وفي السنة الموالية اشترك في معركة ضد البنادقة في سواحل نفارين Nevarin، حيث ذكر أنه

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

كان خلالها قائدا لسفينة حربية. وفي سنة 1504 اشترك مع كمال رئيس في إنزال بحري في جزيرة رودس، وقام بعدة حملات على الجزر التابعة لها. وفي 1511 بينما كان كمال رئيس يهمّ بالتوجه إلى رودس للإغارة عليها، إذ هبّت عاصفة بحرية شديدة أدّت إلى إغراق سفينة كمال رئيس ووفاة هذا الأخير[7].

تأثر بيري رئيس بفقدان خاله كمال رئيس الذي كان معلمه وملهمه الأول في علوم البحار، فانزوى في غاليبولو حتى سنة 1513. وهناك قام بتدوين مشاهداته وملاحظاته، وكذا المعلومات التي قام بجمعها خلال عمله في البحر إلى جانب خاله كمال رئيس. كما قام برسم خريطة العالم أثناء خلال إقامته في غاليبولو[8].

لم ينقطع بيري رئيس عن العمل في البحر بسبب وفاة خاله كمال رئيس؛ بل سرعان ما التحق بخير الدين بربروس الذي وصل إلى سواحل غرب البحر المتوسط في حدود سنة 1512[9]. وأصبح أحد قادة وحداته المقربين منه[10].

خلال عمل بيري رئيس إلى جانب خاله كمال رئيس أو إلى جانب خير الدبن بربروس تعرف على الجزائر بشكل دقيق. وأثناء ذلك انشغل لفترة طويلة بنقل المهاجرين الأندلسيين إلى سواحل شمال إفريقيا. إن هذه المهمة لم تكن مهمة سياحية سهلة. بل كانت محفوفة بالمخاطر. إذ كثيرا ما تخلل نقل المهاجرين اشتباكات مع الإسبان في سواحل إسبانيا أو سواحل شمال إفريقيا أو في عرض البحر[11].

وقد أكّد كاتب جلبي ما أشار إليه خير الدين بربروس في مذكراته[12]، من أنه أرسل بيري رئيس إلى إستانبول يقود أربع سفن محّملة بأعمدة شراعية مصنوعة من أجود أنواع الخشب، كان خير الدين قد غنمها في إحدى غاراته على شبه جزيرة صقلية[13]. فكافأه السلطان وأخاه على ذلك بسيفين مرصّعيْن بالماس؛ بالإضافة إلى سفينتين حربيتين محمّلتين بالمعدّات العسكرية[14].

وخلال وجود السلطان سليم الأول (1512- 1520) في مصر، على إثر حملته عليها سنة 1517، أهدى إليه بيري رئيس خريطة العالم التي قام برسمها في غاليبولو[15]. فاحتفى بها السلطان كثيرا، الأمر الذي حفّز بيري رئيس إلى التفكير في تدوين كتابه الشهير: " **كتاب بحرية**".

ويُذكَرُ أن بيري رئيس كان قد رافق السلطان سليماً الأول في حملته على مصر، وقام خلال سنتي 1516- 1517 برسم خريطة لضفاف نهر النيل أثناء توجهه إلى القاهرة عبر النهر.

وبعد الحملة العثمانية على مصر، عاد بيري رئيس إلى غاليبولو. وهناك قام بترتيب ما جمعه من معلومات، وما دوّنه من ملاحظات ورسمَه من خرائط في كتابه المشار إليه آنفا. فلم تأت سنة 1521 حتى كان قد فرغ من إعداد مسودة الكتاب[16]. هذه المسودة تم نسخها من طرف زملاء بيري رئيس، وتناقلتها أيدي النساخ. وأصبحت مرجعا للملاحين والجغرافيين والمهتمين بعلوم البحر والطرق البحرية لفترة طويلة. ويعتقد اليوم أن عدد المخطوطات المنسوخة عن النسخة مسودة الكتاب تبلغ 43 نسخة متناثرة في مختلف مكتبات العالم.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

في سنة 1524 أرسل السلطان سليمان القانوني، الوزير الأعظم إبراهيم باشا، لحلّ الخلافات التي نشبت بين كبار مسؤولي الإدارة العثمانية في مصر. فرافقه في هذه الرّحلة بيري رئيس باعتباره عارفا بطرق الملاحة البحرية. إلا أن الرّحلة أعيقت بسبب هبوب عواصف بحرية شديدة أجبرت الأسطول العثماني على الرّسوّ في جزيرة رودس. وخلال هذه الرّحلة تعرّف إبراهيم باشا عن قرب على بيري رئيس وأدرك مواهبه العلمية. ولما لاحظ الباشا أن بيري رئيس يعكف على مراجعة ملاحظاته التي دوّنها في دفتره الخاصّ حول تطوّر العواصف البحرية، طلب منه أن يعرضها عليه. فلما اطّلع عليها أعجب بها، واقترح عليه أن يقوم بجمعها في كتاب، فإذا فرغ منه قدّمه هدية للسلطان سليمان القانوني. على إثر ذلك قام بيري رئيس بترتيب كتابه وتنظيمه سنة 1526 ، وأهداه إلى السلطان سليمان القانوني بواسطة الصدر الأعظم إبراهيم باشا[17]. بهذا التصحيح يكون بيري رئيس قد قام بتنظيم وترتيب كتابه للمرة الثانية ، بعد النسخة التي سبق أن قام بتسويدها في غاليبولي سنة 1521[18]. وفي هذا الكتاب تحدّث بيري رئيس عن غزوات كمال رئيس في البحر، والعواصف البحرية وأوقات هبوبها واتجاهها. كما تحدّث عن البوصلة والخرائط البحرية وأوصاف البحار والمضائق المائية وغير ذلك مما له علاقة بعلوم البحار التي كانت سائدة في عصره. كل ذلك أورده مجملا في 972 بيتا منظوما، ليختمه بواحد وتسعين بيتا من نظم البحار والشاعر سيد علي مرادي[19] ، ألغز فيه تاريخ إنهائه للكتاب. وذلك في قوله[20]:

أنهيته فبلغت مرادي

وقلت تاريخه من فيض الهادي

إن ما يميز هذه النسخة من كتاب بحرية عن النسخة التي أعدها بيري رئيس سنة 1521، أنه قام بتصحيحها واستدراك النقائص العلمية التي وجدت في النسخة السابقة. بالإضافة إلى تنظيم كتابه وفق منهج معين ذكره في مطلع كتابه.

هذا؛ من الناحية المنهجية؛ أما من الناحية الموضوعية فقد قام بيري رئيس بإعطاء معلومات مهمة عن الأقوام التي كانت تعيش في السواحل والجزر والمناطق التي قام برسم خرائطها. كما أعطى معلومات نادرة جدا عن الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لهذه المناطق. وكذا ما تزخر به تلك المناطق من ثروات طبيعية وحيوانية ونباتية ومائية. بالإضافة إلى معلومات تاريخية ودينية وأسطورية تخص أهالي تلك المناطق.

وعندما قوبل كتاب بيري رئيس بالتقدير من طرف القانوني، قام بيري رئيس برسم خريطة أخرى للعالم سنة 1528. ويعتقد أن خريطة العالم المحفوظة حاليا بمكتبة متحف طوب قابي سرايي Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi بإستانبول ليست سوى القطعة الباقية من تلك الخريطة[21].

بعد هذ التاريخ لا نجد في المصادر التي تحدثت عن بيري رئيس ما يشير إلى الأعمال التي قام بها، عدا تلك التي تشير إلى أنه تم تعيينه سنة 1547 قائدا للأسطول العثماني في المحيط الهندي أو بحر الهند كما كان يعرف في ذلك العصر[22]. كما ورد أنه تمكن من الاستيلاء على عدن 1549[23]، ثم استولى بعد ذلك على مسقط وحاصر قلعة هرمز، غير أنه لم يتمكن من الاستيلاء عليها.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

ويبدو أن الانتصارات التي حققها بيري رئيس أثارت حفيظة والي البصرة قوباض باشا Kubad Paşa ووالي مصر البيلرباي داود باشا. الأمر الذي دفعهما إلى إيغار صدر السلطان سليمان القانوني على بيري رئيس برسائل تحريضية، أفضت في نهاية الأمر إلى إصدار السلطان قرارا بإعدامه. فتمّ تنفيذ ذلك في حقه بمصر سنة 1554.

ثانيا. كتاب بحرية وأهميته في دراسة المناطق الغابية والجبلية

اسم الكتاب وموضوعه

اختار المؤلف اسم: "**كتاب بحرية** " ، هكذا وردت تسميته في اللغة التركية التي كانت تكتب وتنطق وفق قواعد الفارسية. ويكون معناه بالعربية: كتاب البحرية.

ومن خلال عنوانه وما صرح به المؤلف في مقدمة الكتاب بعدما حمد الله فيها وصلى على النبي ﷺ، ودعا للسلطان سليمان خان بالنصر له ولأولاده بالصحة والعافية، وللدولة العثمانية بالدوام إلى يوم الدين. شرع في الحديث عن موضوع الكتاب بشكل مباشر.

فقد خصص المئة صفحة الأولى من كتابه .والتي صاغها نظما .للحديث عن اتجاه الرياح والعواصف، وتعريف البوصلة والخرائط وكذا مفتاح الخريطة. بالإضافة الحديث عن بحر الصين والمحيط الهندي والأطلسي. كما تطرق بشكل مقتضب إلى سبب الكشوفات الجغرافية التي قام بها البرتغاليون وأهم الحملات التي قاموا بها في البحار الواقعة في مجال كشوفاتهم الجغرافية.

وعندما شرع في إعطاء التفاصيل الجغرافية والوصفية للمناطق التي أراد التحدث عنها في كتابه تحول إلى النثر، تفاديا للإطالة حسبما أوضح ذلك في مقدمة الكتاب[24]. فشرع في الحديث عن المناطق الساحلية الشرقية كخليج البصرة وسواحل شرق إفريقيا. ثم عرج إلى الحديث عن سواحل المحيط الأطلسي الشرقية وغرب إفريقيا. ومن هناك انتقل إلى الحديث عن عن بحر إيجة وجزره وقلاعه وحصونه والجزر المتناثرة فيه.

كما تحدث عن بحر الأدرياتيك، فذكر مختلف الجزر الموجودة فيه وكذلك سواحله وحصونه. سواء تلك التي كانت خاضعة للدولة العثمانية أو التابعة للبندقية أو البابوية أو غيرهما. ثم انتقل في القسم الثاني من الكتاب إلى الحديث عن سواحل البحر المتوسط مثل سواحل فرنسا وإسبانيا والمغرب العربي ومصر وبلاد الشام وجنوب الأناضول، لينتهي إلى سواحل بحر وجزر بحر إيجة.

سبب تأليف الكتاب

بين المؤلف في مقدمة كتابه سبب تأليفه لهذا الكتاب، عندما أشار إلى أنه كتبه لكي يتحف به السلطان سليمان القانوني[25]. وعلل ذلك بأن كتابا كهذا لم يسبق لأحد أن قام بتأليفه من قبل[26].

أهمية الكتاب

تكمن أهمية الكتاب في كونه اشتمل على معلومات مهمة جدا تتعلق بعلوم البحار والجغرافية البحرية وعلم الخرائط والجغرافيا التاريخية. ومن ثمّ فإن هذا الكتاب يعد مرجعا أساسيا للباحثين في تلك العلوم.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

بالإضافة إلى قيمته التاريخية كمصدر أساسي للمعلومات التاريخية للفترة التي عاصرها المؤلف أو التي سبقته. حيث أنه دون فيه مشاهداته وما قرأه أو سمعه من البحارة الذين عمل معهم، وعلى رأسهم كمال رئيس. إضافة إلى استفادته من مصادر أخرى بلغات مختلفة لم تصل إلينا.

وزيادة على ذلك فإن هذا الكتاب يعتبر كتابا مرشدا للبحارة والملاحين الذين يهمهم كثيرا معرفة اتجاهات الرياح وسرعتها وسير العواصف وأوقات هبوبها والموانئ التي يمكن اللجوء إليها عند الضرورة، وكذا مواقع النجوم التي يهتدون بها في عرض البحر في ذلك العصر[27].

ولأن الكتاب اشتمل على حوالي 290 خريطة مفصلة عن مختلف المناطق التي ورد ذكرها في الكتاب. فإنه بذلك تتضاعف أهميته كمرجع مهم للجغرافيا البحرية والتاريخية وعلم الخرائط، وتاريخ البحر المتوسط والعلاقات بين ضفتي المتوسط. فهو بذلك لا يهم الباحث المهتم بالدراسات العثمانية فحسب؛ بل يهم جلّ الباحثين المهتمين بالدراسات المتوسطية خلال المرحلة التي ألف فيها الكتاب.

أهم محتويات الكتاب ومنهج المؤلف في ترتيبه

يتكون الكتاب من مقدمة وقسمين رئيسيين وخاتمة.

في المقدمة بين فيها المؤلف سبب تأليفه للكتاب، وموضوعه. والمنهج الذي سلكه في تأليف الكتاب. معتذرا في الأخير عن أوجه القصور التي قد تلاحظ في كتابه.

في القسم الأول: بالإضافة إلى تناوله للمباحث الأولية التي أشرنا إلينا آنفا، أعطى معلومات دقيقة عن السفن والعواصف والرياح وأسماء النجوم والخرائط ومفاتيحها. أعطى معلومات مهمة عن البحار والمحيطات، كالمحيط الهندي الذي سماه بحر الهند، وبحر الصين والخليج العربي الذي سماه خليج العجم، وسواحل إفريقيا الشرقية التي سماها البحر الزنجي، وكذا السواحل الشرقية للمحيط الأطلسي المطلة على إفريقيا الغربية الذي سماه بحر المغرب، وأيضا جزر الأنتيل التي سماها بحر الأنتيل. تحدث أيضا بشكل مختصر عن الكشوفات الجغرافية التي قام بها البرتغاليون ودوافعها. كل ذلك ذكره نظما. وبعدما فرغ من ذلك انتقل إلى الحديث بطريقة نثرية عن تفاصيل المواقع التي حددها ورسم لكل منها خريطة مفصلة.

ويجب التنويه هنا بأن المباحث التي تطرق إليها الكتاب تعد في غاية الأهمية، ولا يمكن الترجيح بينها، نظرا لكون كل منها يعالج منطقة أو موضوعا معينا يهم الباحثين من مختلف التخصصات في مجالات متنوعة. إلا أنه بالنسبة للمهتمين بالدراسات التاريخية الخاصة في العصر الحديث، يمكن الإشارة إلى مجموعة من المباحث على النحو التالي:

- سبب الكشوفات الجغرافية التي قام بها البرتغاليون
- بحر الحبشة (القرن الإفريقي)
- حملات البرتغاليين ونشاطهم في عرض المحيط
- بحر الهند
- خليج العجم (يعني به الخليج العربي)

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

- بحر درموز (بالنظر إلى محتوى النص نجده يقصد سواحل شرق إفريقيا والقرن الإفريقي)

- سواحل مقديشو (الصومال)

- سواحل البحر الزنجي (يقصد به سواحل شرق أفريقيا الوسطى)

- جزر قامور (لعله بقصد جزر القمر) لأنه ذكر بأن بعضهم يقولون إنهم من أصول عربية

- بحر المغرب. بالنظر إلى المحتوى نجده لا يقصد به المغرب العربي أو المغرب الأقصى، بل يعني به

المحيط الأطلسي وسواحل غرب إفريقيا

- منتوجات بحر المغرب وغرائبه

أما القسم الثاني من الكتاب، فقد احتوى على الشطر الأهم من الموضوعات المتعلقة بشكل مباشر بالولايات العثمانية خلال عصر المؤلف. سواء كانت تلك المناطق تقع في الأناضول أو في أوربا أو في الولايات العربية المطلة على البحر الأحمر. كما أسهب في التعريف الحصون المطلة على البحار والمضائق المائية التي درسها. فتحدث عن أهم الحصون والقلاع والمدن التي تعرف عليها ورسم خرائط لها ، مبينا خصائصها أهميتها العسكرية والاقتصادية والجغرافية. ومن أهم المناطق الجبلية والغابية والساحلية الواقعة في المغرب العربي نذكر منها على سبيل المثال:

- قلعة سبتة

- حصون تيطوان وباديس
- حصون مليلة وهنين
- المرسى الكبير ومدينة وهران
- حصون بيرشك وشرشال
- حصون الجزائر ودلس
- مدينة بجاية وقلعة بجاية
- قلعة بلد العناب
- قلعة بنزرت
- مدينة تونس
- حصون وموانئ الحمامات، سوسة، المنستير
- حصون المهدية وصفاقس
- جزيرة جربة
- طرابلس الغرب

وفي خاتمة الكتاب أورد المؤلف عدة أبيات ختم بها كتابه ألغز فيها تاريخ تأليفه له، بقوله:

أنهيته فبلغت مرادي

وقلت تاريخه من فيض الهادي

ملاحظات منهجية على الكتاب

لا جدال في الأهمية العلمية لكتاب بحرية. غير أن ثمة ملاحظات يجب التنويه بها في هذه الدراسة. منها على سبيل المثال:

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

1. الكتاب صيغ بلغة سهلة سواء في الشطر الذي كتب نظما أو الذي كتب نثرا. وهذا ينمّ عن قدرة لغوية كبيرة امتاز بها المؤلف، بالإضافة إلى المعلومات القيمة والنادرة التي اشتمل عليها الكتاب.
2. على عادة المؤلفين في عصر المؤلف، لم يذكر المؤلف مصادره التي اعتمد عليها سواء في رسم خرائطه بالنسبة للمناطق التي لم يشاهدها، أو بالنسبة للمعلومات السياسية أو الاقتصادية الخاصة بالمناطق التي تحدث عنها. وهذا للأسف يصعب على الباحث مهمة توثيق المعلومات التي وردت في الكتاب.
3. لم يذّيل الكتاب بفهرس تفصيلي للمحتويات. الأمر الذي يدفع القارئ إلى تصفح كل عناوين الكتاب صفحة صفحة لكي يتأكد من وجود الجزيرة أو الساحل أو القلعة التي تحدث عنها المؤلف. وللأسف حتى الطبعة الحديثة للكتاب لم تذيل بفهرس تفصيلي يسهل مهمة القارئ والباحث. لهذا استهلكت بضع ساعات متصفحا الكتاب صفحة صفحة لكي أقوم بترجمة محتويات الكتاب لكي يعرف القارئ العربي محتوياته بسهولة.

المناطق الغابية والجبلية في الجزائر

لقد قام بيري رئيس ببيان الملامح العامة للمناطق الغابية والجبلية في كتابه المذكور، وذلك في معرض وصفه للسواحل التي قام برسم خرائط لها. وعليه؛ فإن المهتمّ بدراسة المناطق الغابية والجبلية من خلال "**كتاب بحرية** "

يمكنه أن يستخلص ملاحظات بيري رئيس بسهولة، بما يمكّنه من توظيفها في السياق الذي يراه مناسبا.

ومن هنا تأتي أهمية الخرائط الدقيقة التي رسمها بيري رئيس للمناطق والسواحل التي تحدث عنها في كتابه. إلا أنه لم يكن بوسعه الحديث عن المناطق الجبلية والغابية بشكل مستقل في كتابه. لأن ذلك يخالف المنهج الذي سار عليه والغاية التي رام الوصول إليها من تأليف الكتاب. وذلك لأنه كان يهدف إلى بيان تضاريس المناطق التي رسم خرائطها، مع الإشارة إلى أهم المعالم التي تكتسي أهمية بالغة لدارس الكتاب. وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال إبرازه للمظاهر العمرانية ذات الطابع العسكري كالقلاع والحصون، أو ذات الطابع التجاري كالمراسي. بالإضافة إلى المظاهر الطبيعية ذات الطابع الاستراتيجي كالجبال والخلجان والأودية والأنهار.

ولم يفت المؤلف أن يشير إلى مواقع ومميزات بعض الجبال بالنسبة للسفن العابرة للسواحل القريبة منها. كوصفها بكونها تقع بمحاذاة البحر، أو بعيدة عنه، أو أنها ترى من بعيد على شكل من الأشكال، ونحو ذلك من الأوصاف والمميزات التي ذكرها في أكثر من موضع. ولعله كان يريد لفت انتباه الملاحين إلى أهميتها، للاحتماء بها أو الحذر من الاصطدام بصخورها أثناء مرورهم بمحاذاتها.

كما أشار بيري رئيس إلى مدن وقرى وبلدات كانت موجودة على سطح أو سفح بعض الجبال التي ذكرها. وهنا لا بد من ملاحظة أن بعض تلك المناطق العمرانية لا زال موجودا حتى اليوم، بينما خرب بعضها الآخر مع مرور الزمن بعد عصر المؤلف.

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

وبإزاء ذلك أهمل المؤلف معالم عمرانية أخرى لعبت دورا مهما في مراحل لاحقة من تاريخ المنطقة. كحصن **سانتا كروز** الذي بناه الإسبان على سفح الجبل المشرف على وهران، عقب احتلالهم لها. فهذ الحصن بالرغم من أهميته الكبيرة، إلا أننا نجد بيري رئيس لم يشر إليه، لكونه رسم خريطة المنطقة قبل الاحتلال الإسباني لوهران، حيث لم يكن الحصن قد أنشئ بعد. كما أنه لم يشر إلى **قصبة مدينة الجزائر**، لأنها لم تكن قد أنشئت أثناء رسم المؤلف لميناء مدينة الجزائر وقلعتها.

ومن الطبيعي أن يشير المؤلف إلى المناطق الغابية في أثناء وصفه للمناطق التي رسم خرائطها. وهو .وإن لم يرسم تلك الغابات في خرائطه لتعذر ذلك فيما يبدو .إلا أنه لم يغفل الإشارة إليها أثناء في وصفه للمنطقة. فقد بيّن أهمية تلك الغابات سواء لصناعة السفن أو غيرها على نحو ما أشار إليه عند حديثه عن الغابات المحيطة بجيجل.

ولكي نتعرف على الأسلوب الذي سار عليه بيري رئيس في حديثه عن المناطق الغابية لكتابه، بدا لي أن أتخذ من المناطق الغابية والجبلية الجزائرية كنموذج يمكن أن تقاس عليه سائر المناطق التي ذكرها المؤلف في كتابه.

وقبل أن أشرع في إيراد تلك الأمثلة النموذجية، أرى أنه من المهم لفت الانتباه إلى أن المؤلف تناول مختلف المناطق التي تحدث عنها في كتابه بنفس الأسلوب وبطريقة متوازنة. يستثنى من ذلك توسعه في الحديث عن سواحل وجزر ومراسي وجبال بحر إيجة ومرمرة. بالإضافة إلى سواحل الأناضول

الواقعة في شرق البحر المتوسط. ولعل ذلك يعود إلى انتماء المؤلف إلى تلك المناطق مولدا ونشأة. وبالتالي فإنه من الطبيعي يكون أكثر دراية بها وبتضاريسها وجغرافيتها البحرية.

أما بخصوص الأمثلة التي نود الإشارة إليها، فإننا سوف نقتصر منها على الشطر المتعلق بالغابات والجبال. أما ما أورده من وصف لتلك المناطق مما يخرج عن نطاق دراستنا فإننا تجاوزناه لنظرا لخروجه عن موضوعنا.

وفيما يلي نشرع في عرض ما أورده المؤلف بخصوص المناطق الغابية والجبلة التي رسم خرائط لها في كتابه على النحو التالي:

أ. عند حديث المؤلف عن وهران والمرسى الكبير، نلاحظ أنه لم يشر إلى الجبل الذي تقع عليه قلعة سانتاكروز التي بناها الإسبان عند احتلالهم للمدينة ومرساها الكبير. فالبرّغم من الدور الكبير الذي لعبته تلك القلعة في ترسيخ الاحتلال للمدينة، إلا أن المؤلف لم يشر إليها ولا إلى الجبل الذي أنشئت عليه. ولعل ذلك يعود إلى كون تلك القلعة شُيّدت بعد احتلال الإسبان للمدينة ومرساها. أما الجبل الذي أنشئت عليه؛ فيبدو أنه لم تكن له أهمية تقتضي التنويه به قبل بناء تلك القلعة في تقدير المؤلف[28].

ب. وعندما تحدّث عن بجاية، ذكر پيري رئيس بأن الإسبان عندما احتلوا المدينة لجأ أهلها غلى الجبال المجاورة. بل حتى ملكها احتمى بالجبل[29]. كما أنه وصف المدينة بأن نصفها يقع على تلّة مغطّاة بأشجار الصنوبر، ونصفها الآخر يقع في الأسفل على ساحل البحر. كما أشار إلى أن الشطر الأعلى من المدينة لم يكن محاطا بسور

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

لأنه يقع بمحاذاة الجبل. وعليه؛ فإن ذلك الجبل كان يشكّل جدارا طبيعيا يحمي المدينة من أعلاها[30]. وبسبب عدم وجود سور في أعلى المدينة،

ت.

ث. فإن القردة كانت تهاجم المدينة في الليل فتخطف دجاج الأهالي[31].

ووصف المؤلف الجبال المحيطة بالمدينة بأنها مكسوة بغابات صنوبرية كثيفة، تسكنها أعداد كبيرة من القردة. كما وصف تلك الجبال بأنها شاهقة تمتد حتى البحر[32]، وأنها محاطة بجبال صخرية تُرى على مسافة ميلين من بجاية[33].

ج. وعند حديثه عن جيجل، وصف بلدة المنصورة بأنها محاطة بأشجار عظيمة، وذكر بأن أهالي بجاية كانوا يستعملون تلك الأشجار في صناعة السفن[34]. كما وصف قلعة جيجل بأنها محاطة بسلسلة جبلية تدعى: " زواوة "[35].

د. كما وصف عنابة بأن القادم إليها من جهة البحر، يلاحظ أن جبالها تمتد إلى داخل البحر فتبدو وكأنها خيمة. وأشار إلى رأس الجبل الناتئ في البحر وأنه يدعى :" سيدي مروان ". فمن يراه من بعيد يحسبه جزيرة[36].

الخاتمة

بناء على ما سبق يتضح لنا أن هذا كتاب بحرية مصدر عثماني يحتل الدرجة العليا ضمن المصادر المعاصرة للفترة التي أُلف فيها. وذلك بالنظر إلى أن المؤلف قد رسم ما شاهده بعينه، وعاصره بنفسه من أحداث. وعليه فإن توظيفه لمعرفة الفضاءات الجغرافية التي تميزت بها المنطقة تجعل منه مصدرا مساعدا للباحث في الجغرافيا التاريخية وتاريخ المنطقة، فضلا عن التاريخ الاقتصادي لها. وذلك بالنظر إلى أن المناطق التي رسم خرائطها كانت في ذات الوقت موانئ تجارية.

الملاحق

نماذج من خرائط پيري رئيس عن المناطق الجبلية والغابية في الجزائر وتونس وليبيا

مجلة الدراسات التاريخية
مجلد 23 العدد 02 السنة 2023 ص ص347/374
E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

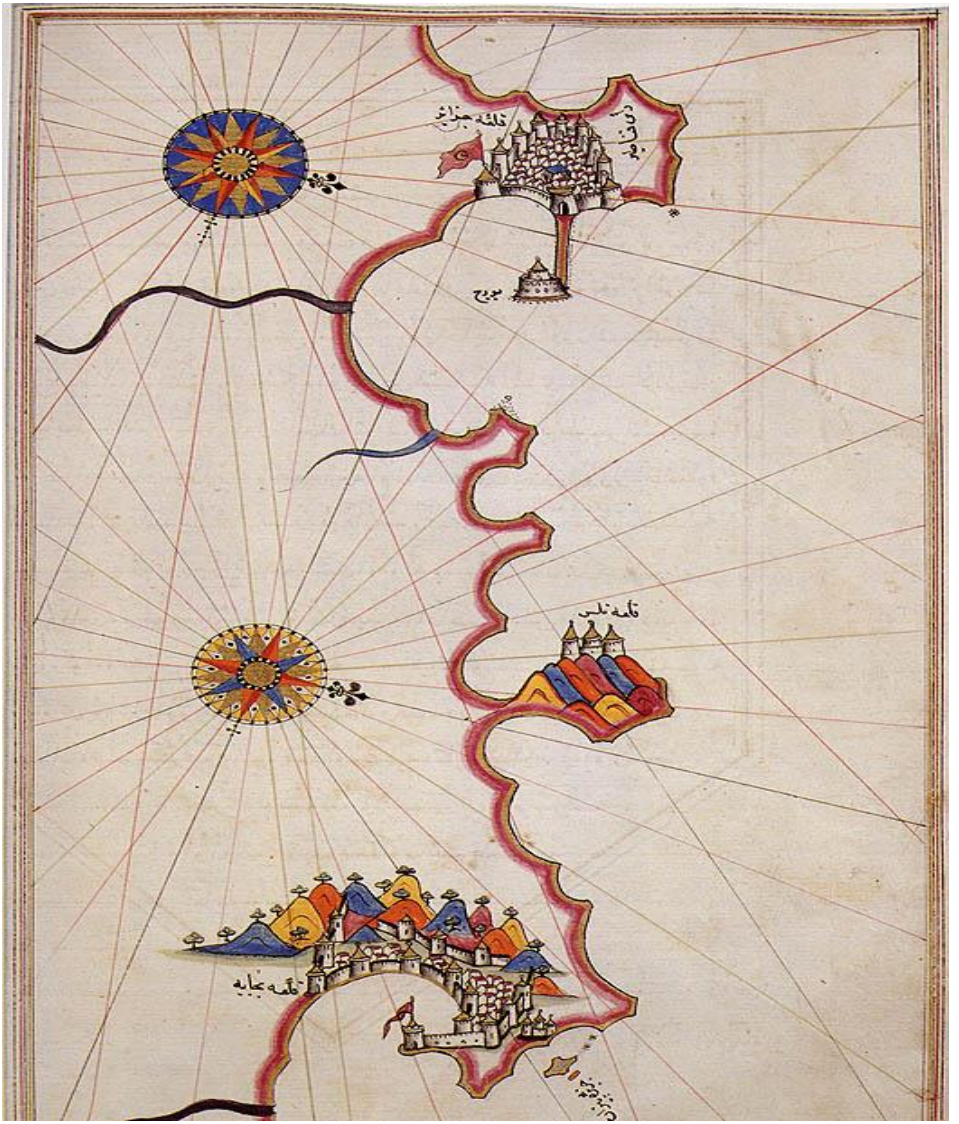

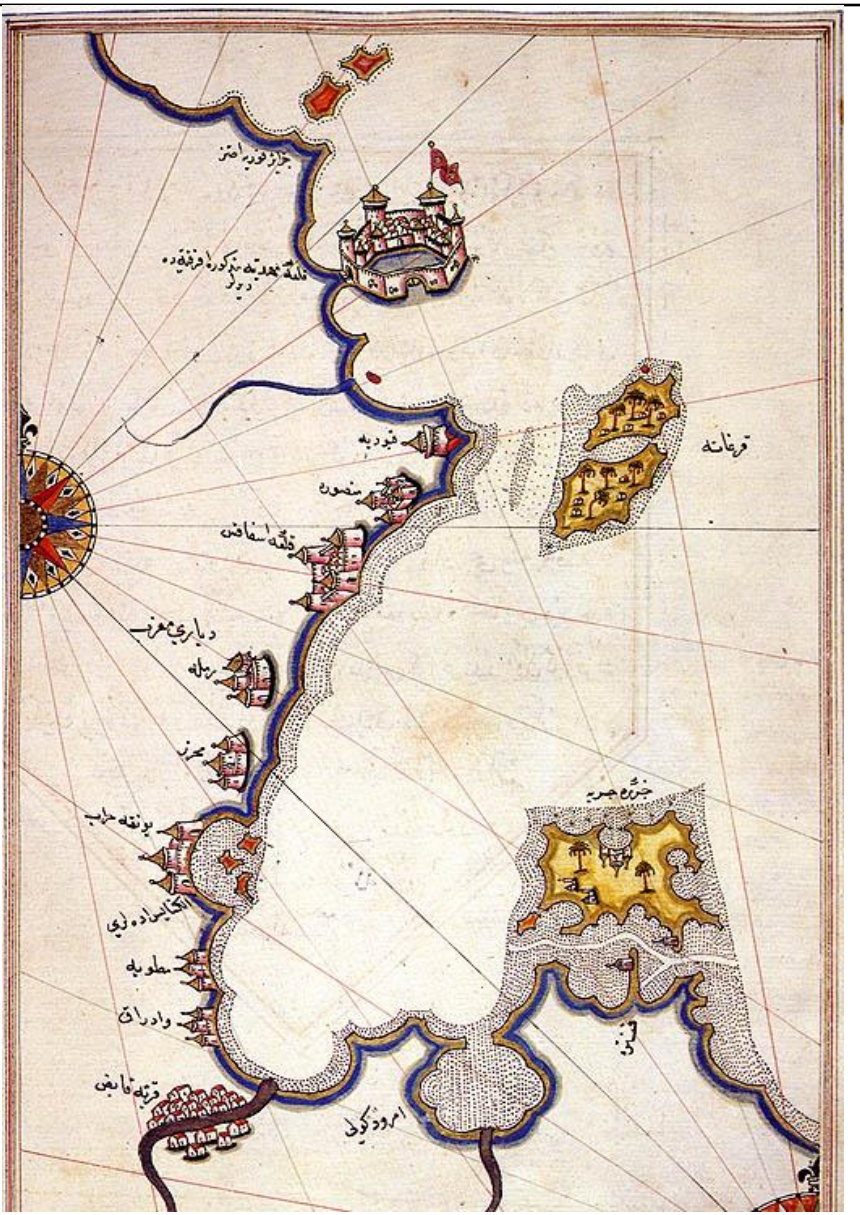
قرغانه
جزيره جربه
طرابلس
مطوبه
وادرات
قرطاجنه
امرود كول

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

7. الهوامش:

[1]. كانت شبه جزيرة غاليبولو مقرا لإقامة قبطان باشا أي القائد العام للأسطول العثماني منذ مطلع القرن 14. وفي أثناء وجود قبطان باشا في إستانبول، كانت غاليبولي خاضعة لسلطة قائد اللواء بأيالة غاليبولو. وفي سنة 1390 أمر السلطان بايزيد الأول أن تؤسس بها ورشة لبناء السفن. ثم ألحقت بها مجموعة من المنشآت التي تجعل منها قاعدة عسكرية مُحكمة ودائمة. وهكذا أصبحت غاليبولو مع مرور الزمن قاعدة مركزية لبسط النفوذ العثماني في شرق البحر المتوسط. انظر:

İdris Baostan, *Osmanlı Bahriye Teşkilatı, XVII. Yüzyılda Tersane-i Amire*, Ankara 1992, TTK Basımevi, s. 14.

[2] Afet İnan, *Piri Reis'in Hayatı ve Eserleri*, Ankara 1983, s.9; Fuad Ezgü, " Piri Reis ", *İslam Ansiklopedisi*, M.E.B, Ankara1964, c.IX, s. 561-165.

[3] انظر الخلاف في تسميته في:

Bursali Mehmet Tahir, *Osmanlı Müellifleri*, İstanbul 1342, c. III. S. 315, not: 05

[4] من المعلوم أن بيري رئيس يتصل بالبحار التركي الشهير كمال رئيس بصلة قرابة. إلا أن الذين ترجموا لبيري رئيس اختلفوا في طبيعة هذه القرابة. فمن قائل أنه ابن أخي كمال رئيس، ومن قائل أنه ابن أخته. وسبب الخلاف يعود إلى التعارض الوارد في نسختين مختلفتين من **كتاب بحرية**. ففي أثناء حديثه عن حوادث سنة 927هـ/ 1521م صرّح بيري رئيس في إحدى تيْنك النسختين بأنه ابن أخي المرحوم الغازي كمال رئيس. بينما ورد في النسخة الثانية من نفس الكتاب، والمنشورة مع كتاب "**سجل عثماني**" بأنه ابن أخت الغازي كمال رئيس. ولعل هذا الخلاف يعود إلى سهو وقع من بعض النساخ، فنقل عنهم من جاء بعدهم هذا الخطأ. وكيفما كان الاختلاف في قرابة بيري رئيس من كمال رئيس، إلا أننا نجد خير الدين بربروس يشير في مذكراته إلى أن بيري رئيس كان ابن أخت كمال رئيس. ومعلوم أن بيري رئيس لازم خير الدين بعد وفاة كمال رئيس، وأرسله هذا الأخير من تونس على رأس أول وفد لمقابلة السلطان سليم الأول بعد رجوعه من مصر. فكان خير الدين بربروس بذلك من أعرف الناس ببيري رئيس. فهذه الملازمة تجعلنا نرجح كون بيري رئيس ابن أخت كمال رئيس وليس ابن أخيه. عن الخلاف في اسم بيري رئيس، انظر:

Mine Esiner Özen, Piri Reis ve Müntahab-ı Kitab-ı Bahriye, " *Osmanlı Bilim Araştırmaları* ", İstanbul 2006, sayı VII. C.2, s. 120-128

أما عن السفارة التي قام بها بيري رئيس إلى استانبول مبعوثا من طرف بربروس، والظروف التي أحاطت بها فانظر: **مذكرات خير الدين بربروس**، ترجمة محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر 2010، ص 62- 63.

[5] Piri Reis, *Kitab-ı Bahriye*, Baskıya hazırlayan Yavuz Senemoğlu, Tercüman 1001 Temel eser yayınları, İstanbul 1973, s.27

[6] كان سبب طلب السلطان بايزيد الثاني من كمال رئيس أن يلتحق بخدمة الأسطول العثماني، بناء على رسالة الاستغاثة التي بعث بها أهالي الأندلس إلى السلطان العثماني يستنجدون به لحمايتهم مما يتعرضون له من ضغط وإرهاب مسيحي، وذلك بعد سقوط غرناطة. فكلف السلطان كمال رئيس بالضغط على الإسبان بالإغارة على السواحل التابعة لإسبانيا. فقام هذا الأخير بإحراق وتخريب السواحل الإسبانية والإيطالية وجنوب فرنسا وسردونيا وكورسيكا ومالطا وغيرها. وقام خلال ذلك بنقل أولى قوافل المهاجرين المسلمين واليهود إلى الأراضي العثمانية في الأناضول، حيث تمّ توطينهم هناك وأعفاؤهم من الضرائب لبضعة أعوام ريثما يتمكنون من استجماع أمرهم والتأقلم مع الوضع الجديد. ثم كرر كمال رئيس الإغارة على سواحل إسبانيا في 1510 منطلقا من السواحل المغربية. وكان بيري رئيس مرافقا لكمال رئيس في هذه الحملة. للتوسع انظر: عبد الجليل التميمي،" **الدولة العثمانية، وقضية الموريسكيين**"، المجلة التاريخية المغربية، العددان : 23-24، ص 191؛ وانظر أيضا:

Süleyman Nutki, *Muharebat-ı Bahriye Osmanıyye* .Deniz Kuvvetleri kumutanlığı. İstanbul 1891; s.19-23 .İsmail Hakkı Uzunçarşılı, *Osmanlı Tarihi*, TTk. Ankara 1988 . II.s200

[7] Özen, s. 120- 128

[8] تعتبر الخريطة التي رسمها قام بيري رئيس أول خريطة كاملة للعالم. وتوجد حاليا في مكتبة متحف طوب قابي سرايي بإستانبول، وفق البيانات التالية:

Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi, Revan 1633 numarada kayıtlıdır

[9] عن ظروف التحاق الإخوة بربروس إلى سواحل غرب البحر المتوسط، انظر مقالتنا: الوجود العثماني في غرب البحر المتوسط وظهور الإخوة بربروس، المتلقى الوطني الأول حول: **التنافس العثماني . الإسباني في غرب البحر المتوسط ودور القوى البحرية الجزائرية فيه**، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر 09-10 نوفمبر 2010، ص 01-07

[10] كاتب جلبي، ص 29؛ علي رضا سيفي، **تحركات بحرية**، إستانبول 1928، ص، 22

[11] من مقدمة محمد أوندر لكتاب بحرية، ص 04

[12] بربروس، **المذكرات**، ص، 62-63؛ كاتب جلبي، ص 29

[13] المصدر السابق، ص 62-63؛ وانظر أيضا: كاتب جلبي، ص 28

E-ISSN : 2588-2090
ISSN: 1111-3707

[14] المصدر السابق، ص 62- 62؛ وانظر أيضا: كاتب جلبي، ص 29؛ علي رضا سيفي، **تحركات بحرية**، إستانبول 1928، ص، 22

[15] يعتقد المؤرخ التركي حسين يورديدين Hüseyin Yurdaydın أن هذه الخريطة، هي منسوخة عن خريطة مفقودة قام كريستوف كولومبس برسمها سنة 1489. وهي تعكس المتابعة الدقيقة لبيري رئيس لحركة الكشوف الجغرافية، وما استلزمته من رسم خرائط جديدة للطرق البحرية الجديدة. للتوسع، انظر:

Hüseyin G. Yurdayıdn, *Türkiye Tarihi*, 2/249-262

[16] Özen, age, s. 121- 128

[17] Özen, s.121

[18] المرجع السابق، ص 121. ومن المهم في هذه الصدد التذكير أن بيري رئيس قد قام برسم خريطة أخرى للعالم سنة 1528، أكثر تفصيلا من سابقتها. حيث تُلاحظ فيها بوضوح سواحل فلوريدا والباهاماس وكوبا وهايتي والهندوراس وغيرها. والخريطة المذكورة محفوظة في مكتبة متحف طوب قابي سرايي. انظر: Yurdayıdın, s. 249

[19] يعتقد البعض بأن سيد علي مرادي قام بنظم كتاب بحرية في حدود سنة 1528.انظر: Yurdayıdın, s. 255

[20] يذكر أن سيد علي مرادي قام بنظم كتاب بحرية، مثلما نظم مذكرات خير الدين بربروس. انظر:

Karatay, *Topkapı Sarayı Müzesi Kütüphanesi Türkçe Yazmalar Katalogu,* No.1336

ولمزيد من المعلومات عن المنظومات التي كتبت عن كتاب بحرية، انظر:

Afet İnan, *Piri Reis'in Hayatı ve Eserleri,* Ankara 1983, TTK Basımevi, s.18.

[21] الخريطة محفوظة في مكتبة متحف طوب قابي سرايي، تحت رقم: 1824

[22] Orhonlu, *Hint Kaptanlığı ve Piri Reis, Belleten,* c. 34, Ankara 1970.

[23] نفسه، 235

[24] انظر ص 27

[25] Kitab-ı Bahriye, c.1, s. 27

[26] نفسه، ص 27

[27] Yurdaydın, s. 253

[28] ص 155

[29] ص 163. هذا؛ ويلاحظ أن المؤلف أغفل اسم الملك الذي احتمى بالجبل. هل هو مولاي عبد الرحمن أم مولاي عبد الله. فقد كانت المدينة تشهد صراعا على العرش بين الأميرين الحفصيين المشار إليهما في هذه الفترة. وهو ما أغرى الإسبان باحتلال المدينة سنة 1510.

[30] ص 162

[31] ص 163

[32] ص 165

[33] ص 164- 165

[34] ص 165

[35] ص 165. والملاحظ هنا أن " زواوة " هي إحدى القبائل الأمازيغية التي تقطن في المنطقة المعروفة في الجزائر حاليا بـ: القبائل الكبرى

[36] ص 168